خرج ذات ليلة من دار الوزير شرف الدين ابي الحسن علي بن طراد الزينبي فنبح عليه جرو
كلب وكان متقلدا سيفا فوكزه بعقب السيف فمات فبلغ ذلك ابا الفضل المذكور فنظم
ابياتا وضمنها بيتين لبعض العرب قتل اخوه ابنا له فتقدم اليه ليقتاد منه فالقى
السيف من يده وانشدهما والبيتان الاولان المذكوران يوجدان في الباب الاول
من كتاب الحماسه ثم ان ابا الفضل المذكور كتب الابيات في ورقة وعلقها في عنق كلبة لها
جرو وربت معها من طردها الى باب الوزير كالمستغيثة من عنقها وعرضت على الوزير
فاذا فيها هذه الابيات

يا اهل بغداد ان الحيص بيص اتى ... بفعلة كسبته الخزي في البلد
هو الجبان الذي ابدا تشاجعه ... على جري ضعيف البطش والجلد
وليس في يده مال يديه به ... ولم يكن ببواء عنه في القود
فانشدت جعدة من بعد ما احتسبت ... دم الابلق عند الواحد الصمد
اقول للنفس تاساء وتعزية ... احدى يدي اصابتني ولم ترد
كلاهما خلف من فقد صاحبه ... هذا اخي حين ادعوه وذا ولدي

وهذا التضمين في نهاية الحسن ولم اسمع مثله مع كثرة ما يستعمل الشعراء التضمين في
اشعارهم الا ما انشدني مهذب الدين ابو طالب المعروف بابن الخيمي المذكور في ترجمة الشيخ
تاج الدين الكندي في حرف الزاي لنفسه واخبرني انه كان بدمشق وقد رسم السلطان
بحلق لحية شخص له وجاهة بين الناس فحلقوها تضمنها شفاعة فغنى عن الباقي فعمل به
ولم يصرح باسمه بل رمزه وهو هذا

ذقن ابن ادم لما نيل وحلقوا ... جميع لحيته من بعد ما ضربا
فلم ار النقص محلوقا فقلت له ... مهنئا بالذي منها له وهبا
فقام ينشدني والدمع يخنقه ... بيتين ما نظما مينا ولا كذبا
اذا اتتك لحاق الذقن طائفة ... فاخلع ثيابك منها ممعنا هربا
فان اتوك وقالوا انها نصف ... فان اطيب نصفيها الذي ذهبا

والبيتان الاخيران منها في كتاب الحماسه في باب مذمة النساء لكن الاول منهما فيه تغيير
فان بيت الحماسه

لا تنكحن عجوزا ان اتوك بها ... واخلع ثيابك منها ممعنا هربا

وحضر ليلة الحيص بيص وابن الفضل المذكور على السماط عند الوزير في شهر رمضان فاخذ
ابن الفضل قطاة مشوية وقدمها الى الحيص بيص فقال الحيص بيص للوزير يا مولانا هذا الرجل
يوذيني وقال الوزير كيف ذلك فقال لانه يشير الى قول الشاعر

تميم بطرق اللؤم اهدى من القطا ... ولو سلكت سبل المكارم ضلت

وكان تميميا كما تقدم في ترجمته وهذا البيت للطرماح ابن حكيم الشاعر وهو من جملة ابيات
وبعد هذا البيت ... ارى الليل يجلوه النهار ولا ارى ... خلال المخازي عن تميم تجلت
ولو ان برغوثا على ظهر قملة ... يكر على صفي تميم لولت
ودخل ابن الفضل المذكور

يوما على الوزير الزينبي وعنده الحيص بيص فقال قد عملت بيتين لا يمكن ان يعمل لهما ثالث
لاني قد استوفيت المعنى فيهما فقال الوزير وما هما فانشده

زار الخيال بخيلا مثل مرسله ... فما شفاني منه الضم والقبل
ما زارني قط الا كي يوافقني ... على الرقاد فينفيه ويرتحل

والتفت الوزير الى الحيص بيص فقال ما تقول في دعواه فقال ان عادهما سمع الوزير
لهما ثالثا فاعادهما فوقف الحيص بيص لحظه ثم انشد

وما درى ان نومي حيلة نصبت ... لطيفه حين اعيا اليقظة الحيل

فاستحسن الوزير ذلك منه وسمعت لبعض المعاصرين ولم اتحقق انها له حتى اعينه
وقد اخذ هذا المعنى في نظمه واحسن فيه وهو

يا ضرة القمرين من لمتيم ... اردته واحلت ذاك على القضا
وحياة حبك لم ينم عن سلوة ... بل كان ذاك للخيال تعرضا
لا تاسفن اذ زار طيفك في الكرى ... ما كان الا مثل شخصك معرضا

ولما هجا قاضي القضاة جلال الدين الزينبي بالقصيدة الكافية المقدم ذكرها في ترجمة
ابن التعاويذي ولم يطلها الذكرتها فارسل اليه احد الغلمان فاحضره وصفعه وحبسه
فلما طال حبسه كتب الى مجد الدين ابن الصاحب استاذ الدار الخليفة هذه الابيات

اليك اطال مجد الدين اشكو ... بلاء حل لست له مطيقا
وقوما بلغوا عني محالا ... الى قاضي القضاة الندب سبقا
فاحضرني بباب الحكم خصم ... غليظ جرني كما وريقا
واخفف نعله بالصفع راسي ... الى ان اوجس القلب الخفوقا
على الخصم الالد وقد صفعنا ... الى ان ما تهدينا الطريقا
فيا مولاي هب والافك حقا ... حبيس بعد ما استوفي الحقوقا

ولما خرج من الحبس انشد هذين البيتين

عند الذي عطرفني وانه ... قد عض من قدري واذاني
فالحبس ما غيرني خاطرا ... والصفع ما لين اذاني

وقد سبق في ترجمة الحيص بيص ابيات الميمية في هجوه وجواب الحيص عنها ولما تولى
ابن الزينبي الوزارة دخل عليه ابن الفضل المذكور والمجلس محتفل باعيان الرؤساء وقد
اجتمعوا للتهنئة فوقف بين يديه ودعا له واظهر الفرح والسرور ورقص فقال الوزير
لبعض من يفضي اليه سره قبح الله هذا الشيخ فانه يشير برقصه الى ما تقول العامة
فاتنا لها ارقص للقرد في زمانه وقد نظم هذا المعنى في ابيات وكتبها الى بعض الرؤساء
وهي

يا كمال الدين الذي ... هو شخص مشخص
ورئيس الذي به ... دهر دهري ينغص
خذ حديثي فانه ... بناء سوف يرخص
كلما قلت قد ... تسعد قومي تحمصو

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)